صحف منسية

شذرات حكمية

سئل أبو سليمان المنطقي لِمَ لم يصف التوحيد في الشريعة من شوائب الظنون وأمثلة الالفاظ كما صفا ذلك في الفلسفة فقال : انا لا نظن ان كل من كان في زمان الفلاسفة بلغ غاية أفاضلهم ، وعرف حقيقة أقوال متقدميهم، بل كان في القوم من رأى رأي العامة وحط الى ماحطت اليه ولم يبن منهم كثير شيء مع قدم الزمان ولقاء المحققين الفاضلين وهذا اذا حل لا يكون قادحاً فيما نصصناه من القول في حقائق التوحيد الذي ظفرا به خلصان الحكمة ، وفرسان الصناعة ، على أن الترجمة من لغة يونان الى العبرانية ومن العبرانية الى السريانية ومن السريانية الى العربية قد أخلت بخواص المعاني في أبدان الحقائق اخلالا لا يخفى على أحد ولو كانت معاني يونان تهجس في أنفس العرب مع بيانها الرائع، وتصرفها الواسع ، وافتنانها المعجز، وسعتها المشهورة، لكانت الحكمة تصل الينا صافية بلا شوب، وكاملة بلا نقص، ولو كنا نفقه عن الاوائل أغراضهم بلغتهم كان ذلك أيضاً نافعاً للغليل وناهجاً للسبيل ومبلغاً الى الحد المطلوب ولكن لابد في كل علم وعمل من بقايا لا يقدر الانسان عليها وخفايا لا يهتدي أحد من البشر اليها وذلك للعجز الموروث عن الهيولى، والضعف الثابت في الطينة الاولى ، وهذا لكي يكون الله تعالى ملاذاً للخلق ومعاذاً للعالم

قال أبو حيان لابي سليمان ماالفرق بين طريقة المتكلمين وبين طريقة الفلاسفة فقال ماهو ظاهر لكل ذي تمييز وعقل وفهم طريقتهم مؤسسة

على مكايل اللفظ باللفظ وموازنة الشيء بالشيء إما بشهادة من العقل مدخولة وإما بغير شهادة منه البتة والاعتماد على الجدل وعلى ما يسبق الى الحس أو يحكم به العيان أو على ما يسنح به الخاطر المركب من الحس والوهم والتخيل مع الالف والعادة والمنشأ وسائر الاعراض الذي يطول إحصاؤها ويشق الايان عليها وكل ذلك يتعلق بالمغالطة والتدافع واسكات الخصم بما اتفق واتمام القول الذي لا محصول فيه ولا مرجوع له مع بوادر لا تليق بالعلم ومع سوء أدب كثير نعم ومع قلة تأله ، وسوء ديانة ، وفساد دخلة ، ورفض الورع بتحمله ، والفلسفة أدام الله توفيقك محدودة بحدود ستة كلها تدلك على أنها بحث عن جميعها في العالم من ظهر للعين وباطن للعقل ومركب بينهما ومائل الى حد طرفيهما على ماهو عليه واستفادة اعتبار الحق من جملته وتفصيله ومسموعه ومرئيه وموجوده ومعدومه من غير هوى يمال به على العقل ولا الف تغتفر معه جناية التقليد مع أحكام العقل الاختياري وترتيب العقل الطبيعي وتحصيل ماند وانقلب من غيران يكون أوائل ذلك موجودة حساً وعياناً وكانت محققة عقلاً وبياناً ومع أخلاق الهيئة واختيارات علوية وسياسات عقلية ومع أشياء كثيرة يطول ذكرها وتعدادها ولا تبلغ أقصى مالها من حقها في شرفها

ثم قال وكان شيخنا يحيى بن عدي يقول اني لا عجب كثيراً من قول أصحابنا اذا ضمنا واياهم مجلس نحن المتكلمون ونحن أرباب الكلام والكلام لنا بنا كثر وانتشر ، وصح وظهر ، كأن سائر الناس لا يتكلمون أو ليسوا أهل الكلام لعلهم عند المتكلمين خرس وسكوت . أما يتكلم ياقوم الفقيه والنحوي والطبيب والمهندس والمنطقي والمنجم والطبيعي والالهي والخسيس

والصوفي قال وكان يلهج بهذا وكان يعلم أن القوم قد أحدثوا لانفسهم أصولا ، وجعلوا مايدعونه محمولا عليها ومسؤولا من عرفها وان كانت المغالطات تجري عليهم ومن جهتهم بقصدهم مرة وبغير قصدهم أخرى قال وكان يصل هذا كثيراً بقوله والدليل على ان النحو والشعر واللغة ليس يعلم انك لو لقيت في البادية شيخاً بدوياً فحا محرماً لم ير حضريا، ولا جاور أعجمياً ، ولم يفارق رعية الابل ، وانتياب المناهل ، وهو على قبح هيئته التي لايشق غباره فيها أحد منا وان كلف (كذا) فقلت له هل عندك علم لقال لا : هذا وهو يسير المثل ، ويقرض الشعر ،ويسجع السجع البديع ، ويأتي بمالو سمعه واحد من الحاضرة وعاه واتخذه أدباً ، ورواه وجعله حجة ، وكان يقول هذه الآداب والعلوم هي قشور الحكمة وما انتثر منها على فائت الزمان لان القياس المقصود في هذه المواضع والدليل المدعى في هذه الأبواب معها ظل يسير من البرهان المنطقي والرمز الالهي والاقناع الفلسفي.

قال أبو حيان رويت لابي سليمان كلاماً لبعض المتصوفة فلم يفكه ولم يهش عنده وقال لو قلت أنا في هذه الطريقة شيئاً لقلت : الحواس مهالك، والاوهام مسالك ، والعقول ممالك ، فمن خلص نفسه من المهالك ، قوي على المسالك ، ومن قوي على المسالك ، أشرف على الممالك ، شرفاً يوصله الملك ، قال أبو الخطاب الكاتب أيها الشيخ هذا والله أحسن من كل ما سمع منهم فلو زدتنا منه فقال : الحواس مضلة ، والاوهام مزلة،والعقل مدلة ، فمن اهتدى في الاول وثبت في الثاني أدرك في الثالث ومن أدرك في الثالث فقد أفلح ومن ضل في الاول وزل في الثاني خاف ومن خاف في الثالث فهو من الهمج واستزاده مظهر الكاتب البغدادي فاستعفى قال :

هذا حديث قوم أباعد منا على بعض المشاكهة . قلنا وما قلناه كاف فيما قصدنا فان استتب خفت العار، واستحليت الغار، (كذا) ولكل افق يقطفون منه ،ولولا هذه اللطائف التي هي شعلة النفوس الوافرة والناقصة ، لكانت الصدور تتقرح بأساً ، والعقول تتحير يأساً ، والارواح تزهق كمداً ، والاكباد تتفتت صمداً ، فسبحان من له القدرة وهذه الخليقة ، وهذه الاسرار في هذه الطريقة

مطبوعات ومخطوطات

المقابسات

في المؤلفين ناس رزقوا الحظ في مؤلفاتهم فانتشرت في حياتهم وبعد مماتهم انتشاراً وأي انتشار ومن هؤلاء الغزالي والماوردي وابن جرير وابن تيمية ومنهم من بقيت تواليفهم مستورة عن الاعين احياء وأمواتا ولم ينالوا الحظوة فيها كأن يكون من تلامذتهم أو أولادهم أو أصدقائهم من يحتفظ بما كتبوه وينشره في كل أفق على نحو ما فعل ابن الرومية ونشر في المشرق كتب ابن حزم ولولاه لما أبقى منها التعصب باقية . والغالب ان أبا حيان التوحيدي صاحب كتاب المقابسات هو من أهل الفئة الثانية اذ لم أر واحداً في العشرة من الخاصة من سمع باسمه دع عنك من قرأله رسالة أو فصلا مع انه من أمراء الانشاء وجهابذة الحكماء والعلماء

نشأ المؤلف في زمن خدمه السعد وحف بالبركة بفضل قوة الاستمرار وما كان في العصرين الزاهرين قبله من علية العلماء وجلتهم والعلم لا يذكو